@ 240 @ وربكم إنه من يشرك با فقد حرم ا عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن ا ثالث ثلاثة وما من إل ه إلا إل ه واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى ا ويستغفرونه وا غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) ^ يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم : ^ (إن ا هو المسيح ابن مريم) ^ . بشبهة أنه خرج من أم بلا أب ، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية . والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم في هذه الدعوى ، وقال لهم : ^ (يا بني إسرائيل اعبدوا ا ربي وربكم) ^ فأثبت لنفسه العبودية التامة ، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق . ^ (إنه من يشرك با) ^ أحدا من المخلوقين ، لا عيسى ولا غيره . ^ (فقد حرم ا عليه الجنة ومأواه النار) ^ وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق ، وصرف ما خلقه ا له وهو العبادة الخالصة لغير من هي له ، فاستحق أن يخلد في النار . ^ (وما للظالمين من أنصار) ^ ينقذونهم من عذاب ا ، أو يرفعون عنهم بعض ما نزل بهم . ^ (لقد كفر الذين قالوا إن ا ثالث ثلاثة) ^ وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم . زعموا أن ا ثالث ثلاثة ، ا ، وعيسى ، ومريم ، تعالى ا عن قولهم علوا كبيرا . وهذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى . كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء ، والعقيدة القبيحة ؟ كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق ؟ كيف خفي عليهم رب العالمين ؟ قال تعالى ردا عليهم وعلى أشباههم : ^ (وما من إله إلا إله واحد) ^ متصف بكل صفة كمال ، منزه عن كل نقص ، منفرد بالخلق والتدبير ما بالخلق من نعمة إلا منه . فكيف يجعل معه إله غيره ؟ تعالى ا عما يقول الظالمون علوا كبيرا . ثم توعدهم بقوله : ^ (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم ، عذاب أليم) ^ . ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم ، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال : ^ (أفلا يتوبون إلى ا) ^ أي : يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار بالتوحيد ، وبأن عيسى عبد ا ورسوله عما كانوا يقولونه . ^ (ويستغفرونه) ^ عن ما صدر منهم ^ (وا غفور رحيم) ^ أي : يغفر ذنوب التائبين ، ولو بلغت عنان السماء ، ويرحمهم ، بقبول توبتهم ، وتبديل سيئاتهم حسنات . وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله : ^ (أفلا يتوبون إلى ا) ^ . ثم ذكر حقيقة المسيح وأمه ، الذي هو الحق ، فقال : ^ (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) ^ أي : هذا غايته ، ومنتهى أمره ، أنه من عباد ا المرسلين ، الذين ليس لهم من الأمر ،

ولا من التشريع ، إلا ما أرسلهم به ا ، وهو من جنس الرسل قبله ، لا مزية له عليهم ، تخرجه عن البشرية ، إلى مرتبة الربوبية . ^ (وأمه) ! 2 2 ! (صديقة) ^ أي : هذا أيضا غايتها ، أن كانت من الصديقين ، الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء .
والصديقية ، هي : العلم النافع ، المثمر لليقين ، والعمل الصالح . وهذا دليل على أن مريم ، لم تكن نبية ، بل أعلى أحوالها ، الصديقية ، وكفى بذلك فضلا وشرفا . وكذلك سائر النساء ، لم يكن منهن نبية ، لأن ا تعالى جعل النبوة في أكمل الصنفين . في الرجال ، كما قال تعالى : ^ (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم) ^ . فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله ، وأمه صديقة ، فلأي شيء اتخذهما النصارى إلهين مع ا ؟ وقوله : ^ (كانا يأكلان الطعام) ^ دليل ظاهر ، على أنهما عبدان فقيران ، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب ، فلو كانا إلهين ، لاستغنيا عن الطعام والشراب ، ولم يحتاجا إلى شيء ، فإن الإله ، هو الغني الحميد . ولما بين تعالى البرهان قال : ^ (انظر كيف نبين لهم الآيات) ^ الموضحة للحق ، الكاشفة لليقين ، ومع هذا ، لا تفيد فيهم شيئا ، بل لا يزالون على إفكهم ، وكذبهم ، وافترائهم . وذلك ظلم وعناد منهم . ^ (قل أتعبدون من دون ا ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا وا هو السميع العليم) ^ أي : ^ (قل) ^ لهم أيها الرسول : ^ (أتعبدون من دون ا) ^ من المخلوقين الفقراء المحتاجين . ^ (من لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) ^ وتدعون من انفرد بالضر والنفع ، والعطاء والمنع . ^ (وا هو السميع) ^ لجميع الأصوات ، باختلاف اللغات ، على تفنن الحاجات . ^ (العليم) ^ بالظواهر والبواطن ، والغيب والشهادة ، والأمور الماضية والمستقبلة . فالكامل تعالى ، الذي هذه أوصافه ، هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة ، ويخلص له الدين . ^ (قل ي أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل * لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن